

(كيف لا نشهدُ للتي يشهدُ لها الخلود)

صار الجوُ يَمِيلُ إلى البرودة

يُطلقُ النسماتُ العليلةَ مِنْهَا وهناك

ومنَ الجهاتِ الأربعِ في البستان

حتى إنَّ الجهاتِ الأربعَ تُصبحُ جهةً واحدةً

وأنتَ فيكَ تتلاشى المُسَمَّيات

فلا جسمُكَ ذو ماهيةٍ ولا رُوحُكَ

كُلُّ الاعتباراتِ الوجودية تختفي

إلا اعتبارَ كينونتكَ بلا قيد

إِزْلَكَ تُحْسِنُ بذلكَ وقتَ قربِ أُفولِ الشمسِ

وقتَ احمرارِ السماءِ، وقتَ استعدادِ النهارِ للرحيل

وقتَ هبَّاتِ قشريرِ جسمِكَ مِنْ لسعةِ بردِ دافئةِ

وقتَ رقصةِ خيوطِ الطبيعةِ البيضاءِ أمامَكَ

وقتَ تلمحُ ثقباً متوهِّجاً يتوارى بينَ أكواامِ طبيعتِه

وقتَ انصبابِ شايـكَ مـنَ القوري الذي اختفى أساسُ لونـه

وقتَ رـشـكَ للشـاي ولا تـدرـي أـلـهُ تـقولُ إـنـا إـنـا !

أم للشـمـسـ المـذـبـوـحةـ في كـبـدـ السـمـاءـ أم للـنـسـمـاتـ العـلـيـلـةـ

أـ لـخـيوـطـ الطـبـيـنـةـ أم لـرـائـحـتـهـاـ أـمـ،ـ أـمـ

أم لـكـلـ ذـلـكـ بـحـيـثـ لا تـشـعـرـ مـنـ أـيـنـ تـأـتـيـكـ اللـذـةـ

لهـذا يـتـبـادـرـ يـحـضـرـ في ذـهـنـكـ الـجـمـالـ المـطـلـقـ،ـ الـكـمـالـ المـطـلـقـ

يـنـطـقـ بـلـفـطـ الـجـلـالـةـ لـسـانـكـ

وـبـعـفـوـيـةـ تـجـدـ نـفـسـكـ تـقـولـ إـنـا إـنـا !

هـكـذـا أـنـتـ حـيـنـ تـنـعـجـبـ،ـ حـيـنـ تـتـلـذـذـ،ـ حـيـنـ تـسـحـرـ بـالـأـشـيـاءـ

هـكـذـا يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـونـ سـحـرـ قـصـيـدـتـكـ،ـ وـلـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـكـونـ قـصـيـدـتـكـ أـفـلـ مـنـ ذـلـكـ

قصـيـدـةـ شـطـرـيـكـ،ـ قـصـيـدـةـ تـفـعـيلـتـكـ،ـ قـصـيـدـةـ نـثـرـكـ

هـكـذـا تـعـودـ إـلـىـ الـقـصـيـدـةـ وـإـلـيـكـ هيـ تـعـودـ

هـذـاـ هـوـ مـقـامـكـ فـيـهـاـ وـهـوـ مـقـامـهـاـ فـيـكـ

فـكـنـ أـنـتـ وـدـعـ مـنـ قـالـ إـنـ قـصـيـدـةـ النـثـرـ لـهـاـ تـرـتـيـبـ خـاصـ

دـعـهـ وـشـأـنـهـ وـتـسـامـ وـشـأـنـكـ

إنَّ شَأْنَ قَصِيدَةِ نَثَرَكَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ وَالْمَتَلِقُ بِهَا

كَوْنِكَمَا فِي الْبَسْتَانِ، كَوْنِكَمَا فِيهِ بِحِينِيَّتِهِ

فِي الْمَكَانِ فِي الزَّمَانِ نَفْسَيْهُمَا

فِي الْلَّهْظَةِ الَّتِي قَلْتَ فِيهَا إِنَّا ..

هِيَ لَهْظَةُ قَصِيدَةِ نَثَرَكَ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا وَلَهَا

أَنَا أَقُولُ فِيهَا وَلَهَا وَأَنْتَ

أَنَا وَأَنْتَ وَبَائِعُ الْحَشَائِشِ فِي سُوقِ الْخَضْرَةِ

أَنَا وَأَنْتَ وَالْأَطْفَالُ النَّازِلُونَ مِنْ حَافِلَةِ رَوْضَتِهِمْ

أَنَا وَأَنْتَ وَمَنْ يَأْصِبُهُ الْفَوْلُ مِنْ جَرِيَّتِهِ فِي الْمَصْنَعِ

وَمَنْ يَأْكُلُ الْفَوْلَ فِي الْمَطْعَمِ أَيْسَا كَانَ

تَشَهُدُ لِذَلِكَ دَقَّاتُ قَلْبِهِ

تَشَهُدُ رَائِحَةُ الْبَصْلِ الْمَنْبَعِثَةُ مِنْ مَضْفَعِهِ

تَشَهُدُ الْزَيْتُونَةُ الَّتِي سَقَطَتْ فِي حَضَنِهِ

تَشَهُدُ نَسْمَةُ طَبِيعَةِ جَاءَتْ تُحِبِّبُهُ مِنْ الْبَسْتَانِ

وَأَنَا وَأَنْتَ نَشَهُدُ لِقَصِيدَةِ نَثَرَكَ

للتي خرجتٌ عن ترتيبها المعتاد المُجتَرُّ الخاص

للتي عرفتُنا كُلَّـنا وعرفتٌ طريقةَها

لها نشهدُ قطعاً نشهد

كيف لا نشهدُ للتي يشهدُ لها الخلود.